قصص القرآن (٨)

قصة عُزير — حوت يونس

قصة ميلاد مريم — قصة زكريا ويحيى

قصة ميلاد عيسى — قصة المائدة

قصة رفع عيسى

تأليف

عبد العزيز سيد هاشم — ياسر علي نور

مصطفى عبد العزيز — محمد محمود القاضي

عاطف عبد الرشيد

تهذيب وتدقيق

محمد بسام حجازي

قصّةُ عُزَيرٍ

عُزَيرٌ رجلٌ صالحٌ حَكيمٌ مِن بَني إسرائيلَ، وهبَه اللهُ عِلمًا غزيرًا، فلَمْ يَكنْ أحدٌ أعلمَ ولا أحفظَ للتّوراةِ مِنهُ.

خرجَ ذاتَ يومٍ راكبًا حِمارَه، فمرَّ علَى قريةٍ خَربةٍ؛ بُيوتُها مُتهدِّمةٌ، كأنَّها كُهوفٌ مَهجورةٌ، فأحسَّ بالوحشةِ، وشعرَ بالتَّعبِ والإعياءِ مِن طُولِ السَّيرِ، فنزلَ لِيستريحَ.

وفي ظلِّ إحدَى الدِّيارِ المُتهدِّمةِ، جلسَ عُزيرٌ وأخرجَ سلّةً فيها طعامُه وشَرابُه، وبدأَ في إعدادِ ما سَيأكلُه، إلّا أَنَّ عقلَه راحَ يُفكِّرُ فيما حولَه مِن خرابٍ، فتساءَلَ: كيفَ يُمكنُ أَنْ تَنشأَ في هَذِه القريةِ حياةٌ مِن جَديدٍ بعدَ كلِّ هَذا الدَّمارِ؟ وقالَ: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]؟

وأرادَ اللهُ أَنْ يُرِيَ عُزيرًا آيةً مِن آياتِه، فأرسلَ إلَيهِ مَلَكَ المَوتِ فقبَضَ رُوحَه، وأماتَ حِمارَه، ثُمَّ تركَه علَى تلكَ الحالةِ مِئةَ سَنةٍ بَلِيَتْ فيها الأجسادُ، فلَمْ يَبقَ مِنها إلّا عِظامٌ نَخِرةٌ، ثُمَّ ردَّ اللهُ إلَيهِ رُوحَه فعادَ حيًّا كَما كانَ. وتلفَّتَ عُزيرٌ حولَه، فوجدَ طعامَه الّذي أَعدَّه ليَأكُلَه لَمْ يَنقُصْ ولَمْ يَفسُدْ،

لَكِنْ.. أَينَ الحِمارُ؟ نظرَ يَمينًا وشِمالًا فلَمْ يَجِدْهُ، ثُمَّ رأَى عِظامًا بجانبِ طَعامِه لَمْ يَكُنْ رَآها مِن قبلُ. إنَّها عِظامُ حِمارٍ يَبدُو أنَّه ماتَ مُنذُ زمنٍ بَعيدٍ!

تَحيَّرَ الرّجلُ في أَمرِه، وتَملَّكَه الذُّهولُ، فتَداركَتْه رحمةُ اللهِ تَعالَى، وأَرسلَ اللهُ إلَيهِ مَلَكًا يَسألُه: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾؟ نظرَ الرّجلُ إلَى نفسِه وإلَى طَعامِه، فظنَّ أنَّه لَمْ يَنمْ طَويلًا وقالَ: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فقالَ لَه المَلَكُ: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾.

فأيقنَ عُزيرٌ أَنَّ العِظامَ الّتي رَآها إنَّما هيَ عِظامُ حِمارِه، ثُمَّ نظرَ إلَى العِظامِ فوجدَها تتحرَّكُ، وتَقومُ، وتَقتربُ مِن بَعضِها، فيَتَشكَّلُ مِنها الهَيكلُ العَظمِيُّ للحِمارِ، ثُمَّ تُضَمُّ إلَيها الأعصابُ والأربِطةُ وباقي الأجهزةِ، ثُمَّ يُغطِّيها اللّحمُ والجِلدُ والشَّعرُ، فإذا هوَ حِمارٌ تامٌّ بغَيرِ حياةٍ، ثُمَّ تُنفخُ فيه الروحُ؛ فتَدِبُّ فيه الحَياةُ والحَركةُ. وهُنا قالَ عُزيرٌ: ﴿أَعْلَمُ

أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾. وعادَ عُزيرٌ إلَى قَومِه فوجدَ كلَّ شيءٍ قَدْ تَغيَّرَ. فلَمّا رأَوْه عَلمُوا بتِلكَ المُعجزةِ العَظيمةِ الَّتي تُظهِرُ قُدرةُ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى.

حُوتُ يُونُسَ

أرسلَ اللهُ يُونسَ عليه السلام إلَى أهلِ نِينَوَى بأرضِ المَوْصلِ بالعراقِ؛ لِيَهديَهُم إلَى طريقِ الرَّشادِ؛ فيُؤمنُوا باللهِ سُبحانَه، لَكِنَّـهُم كذَّبُوه وأصرُّوا علَى كُفرِهِم وعِنادِهِم، فلَمْ يَيْأَسْ يُونسُ واستمرَّ في دَعوتِه. ومرَّتِ الأيّامُ، وقومُ يُونسَ لَمْ يُؤمنُوا بدَعوتِه، ولَمْ يَستجِيبُوا للهِ ولِرسولِه، فضاقَ يُونسُ بِهِم وبأفعالِهِم، فخرجَ مِن بَينِهِم غاضِبًا بعدَ أَنْ أَخبرَهُم أَنَّ عِقابَ اللهِ نازلٌ بِهِم.

ولَمّا خرجَ يُونسُ عليه السلام مِن نِينوَى خافَ قومُه مِن عَذابِ اللهِ، فخرجُوا إلَى الصَّحراءِ، وأَخذُوا أَولادَهُم وأنعامَهُم وسَجدُوا للهِ، واعترَفُوا بِذنبِهِم، وارتفعَتْ أصواتُهُم بالدُّعاءِ، واشتدَّ بُكاؤُهُم، نادمينَ علَى ما صنَعُوا، طالِبينَ مِنَ اللهِ العفوَ

والمَغفرةَ، فرحمَ اللهُ ذُلَّهُم ومَسكنَتَهُم، ورفعَ عنهُمُ العَذابَ الَّذي حذَّرَهُم مِنهُ يُونسُ عليه السلام. قالَ تَعالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

ولَمّا خرجَ يُونسُ مِن نِينوَى في اتِّجاهِ البَحرِ، وجدَ سفينةً تُوشكُ علَى الإقلاعِ، فرَكِبَها، وسارَتِ السَّفينةُ حتَّى وصلَتْ وسَطَ البَحرِ، وفَجأَةً هبَّتِ العَواصفُ، وارتفعَتِ الأمواجُ وأَوشكَتِ السَّفينةُ علَى الغرقِ، فألقَى الرُّكّابُ الأَحمالَ الَّتي معَهُم في الماءِ لِتَخِفَّ حُمولةُ السَّفينةِ وتُكتَبَ لهُمُ النَّجاةُ، ولكنَّ السَّفينةَ ما زالَتْ مُعرَّضةً للخطَرِ، فاستقرَّ أمرُهُم علَى أَنْ تُجرَى علَيهِم قُرعةٌ، ومَن وقعَتْ علَيهِ ألقَوهُ في البَحرِ، فأجرَوُا القُرعةَ فوقعَتْ علَى يُونسَ، فاستَسْلَمَ لِقضاءِ اللهِ تَعالَى، وعَلمَ أنَّ اللهَ أَوقعَ القُرعةَ علَيهِ لِحِكمةٍ مّا، قالَ تَعالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٢].

ودُونَ تردُّدٍ ألقَى يُونسُ بِنفسِه في الماءِ، فأرسلَ اللهُ سُبحانَه وتَعالَى حُوتًا ضَخْمًا ابتلَعَ يُونسَ، وراحَ يَطوفُ بِه في البِحارِ.

وجدَ يُونسُ نفسَه وَحيدًا في بطنِ الحُوتِ، فأَيقنَ أنَّه مَيِّتٌ ما لَمْ تَتدراكْهُ رحمةُ اللهِ، ويَتنزَّلْ علَيهِ عَفوُ اللهِ، فأخذَ يَذكُرُ اللهَ ويُسبِّحُهُ ويَحمَدُهُ، ويُمجِّدُهُ ويُوحِّدُهُ، ويَستغفِرُهُ، ويُقرُّ بالذَّنبِ بَينَ يدَيهِ، ويَقولُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وأخذَتْ كلماتُ يُونسَ طَريقَها إلَى اللهِ ﷻ، واستجابَ اللهُ دُعاءَه ، فأمرَ اللهُ ﷻ الحُوتَ أَنْ يُلقيَ يُونسَ برِفقٍ علَى الشّاطئِ، فأَخرجَه وقَدْ أصابَه الضَّعفُ والجَهدُ، فأَنبتَ اللهُ علَيهِ شَجرةً لِيستظِلَّ بِظِلِّها، ولِيأكُلَ مِن ثِمارِها، حتَّى عادَتْ إلَيهِ قوَّتُه وعافيتُه. قالَ تَعالَى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٨].

فالمُؤمنُ يَستقبلُ قَضاءَ اللهِ بنَفسٍ راضيةٍ، ويَصبرُ علَى الدَّعوةِ إلَى اللهِ، ويُوقنُ أَنَّ بَعدَ العُسرِ يُسرًا، وأَنَّ فرَجَ اللهِ قريبٌ مَهما كانَتِ الأَزمةُ شَديدةً أَوِ الضّائقةُ الَّتي وقعَ فِيها عسيرةً.

قِصّةُ مِيلادِ مَريمَ

كانَ عِمرانُ شَيخًا كَبيرَ السِّنِّ، وكانَتْ زَوجتُه لا تَلِدُ، فنذرَتْ إِنْ رزقَها اللهُ مَولُودًا فسوفَ تَجعلُه خادِمًا في بَيتِ المَقدِسِ.

واستجابَ اللهُ سُبحانَه لِرَجاءِ امرأةِ عِمرانَ، فحَملَتْ ثُمَّ ولدَتْ، لكنَّ المَولُودَ كانَ أُنثَى، فسمَّتْها أُمُّها مَريمَ، ودعَتْ لَها أَنْ يَحفظَها اللهُ هيَ وأَبناءَها مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ، يَقولُ تَعالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦].

ثُمَّ أخذَتِ امرأَةُ عِمرانَ ابنَتَها مَريمَ، وذَهبَتْ بِها إِلَى بَيتِ المَقدِسِ، لِكَيْ تترَبَّى هُناكَ، وتَخدُمَ بَيتَ اللهِ.

واختلفَ عُلماءُ بَني إسرائيلَ فيمَنْ يَكفُلُ مَريمَ، ويَقومُ برِعايتِها، فكلٌّ مِنهُم يُريدُ أَنْ يَنالَ هَذا الشَّرَفَ، واقترحُوا أَنْ يُلقيَ كلُّ واحدٍ مِنهُم قلَمَه في الماءِ، والقلمُ الّذي يَطفُو ويسيرُ مُعاكسًا للأقلامِ الأُخرَى يكونُ صاحبُه كافِلَ مَريمَ. وبالفِعلِ ألقَى كلُّ واحدٍ مِنهُم قلمَه في الماءِ، ووقعَ الِاختيارُ علَى نبيِّ اللهِ زَكريّا عليه السلام.

وقامَ زَكريّا برِعايةِ مَريمَ، وخصَّصَ لَها حُجرةً خاصّةً بِها، لا يَدخلُ علَيها أحدٌ غيرُه، ولا يَقومُ بِشؤُونِها أحدٌ سِواهُ، وكانَ زَكريّا دائمًا يتفقَّدُ شُؤونَ مَريمَ في تلكَ الحُجرةِ، ويَطمئنُّ علَى أحوالِها، ويَدخلُ بالطّعامِ إلَيها، وهيَ تَعبدُ اللهَ عز وجل. قالَ تَعالَى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ..﴾ [آل عمران: ٣٧].

❊ ❊ ❊

قِصّةُ زَكريّا ويَحيَى

تقدَّمَ عُمْرُ نَبيِّ اللهِ زَكريّا عليه السلام، وضَعُفَ عظمُه، وشابَ شَعرُه، وكانَتْ زَوجتُه عَجوزًا لا تَلِدُ، وذاتَ يومٍ دخلَ زَكريّا علَى مَريمَ المِحرابَ وهيَ تَعبدُ اللهَ سُبحانَه، فوجدَ عِندَها طَعامًا، ولَمْ يَكُنْ أحدٌ يَدخلُ علَى مَريمَ ويُقدِّمُ لَها الطَّعامَ سِوَى زَكريّا، فقالَ مُتعجِّبًا: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾؟ فقالَتْ: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فدَعا زَكريّا ربَّه قائلًا: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٤-٦]. وبَينَما كانَ زَكريّا يَدعُو ربَّه، نادَتْه المَلائكةُ وهوَ يُصلِّي في المِحرابِ، وبَشَّرَتْه بِوَلدٍ مُبارَكٍ اسمُه يَحيَى، وأَثنَى اللهُ سُبحانَه علَيهِ في القُرآنِ الكَريمِ ثَناءً عَظيمًا، فقالَ تَعالَى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا

مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٣-١٥].

قِصّةُ مِيلادِ عِيسَى

عاشَتِ السَّيّدةُ مَريمُ ﵂ في بَيتِ المَقدِسِ، تَعبُدُ اللهَ سُبحانَه، حتَّى صارَتْ مَثَلًا في العِبادةِ والوَرَعِ والتَّقوَى والطَّهارةِ والصَّلاحِ، وكانَتْ ترَى في مِحرابِها الكَثيرَ مِنَ الرِّزقِ الوَفيرِ الَّذي يُرسِلُه اللهُ سُبحانَه إلَيها. وكانَتْ تَسمَعُ أصواتَ المَلائكةِ تُخبِرُها بأَنَّ اللهَ قَدْ فضَّلَها علَى النِّساءِ وتَقولُ لَها: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

وذاتَ يَومٍ خرجَتْ مَريمُ شرقيَّ المَسجدِ، فبَعثَ اللهُ إلَيْها جِبريلَ، وأَتاها في صُورةِ بَشَرٍ، فخافَتْ وقالَتْ لَه: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، فأخبرَها المَلَكُ بأنَّه رسولٌ مِن عِندِ اللهِ، وأَنَّ اللهَ سُبحانَه سيَرزُقُها غُلامًا زَكيًّا صالحًا اسمُه عِيسَى يَكونُ نَبيًّا، فتعجَّبَتْ مَريمُ،

وتَساءلَتْ: كَيفَ يَكونُ لَها غُلامٌ وهيَ لَمْ تَتزوَّجْ بَعدُ؟ فأَجابَها المَلَكُ بأنَّ ذلكَ مُعجزةٌ مِنَ اللهِ سُبحانَه.

وبَعدَ أَنْ بشَّرَ المَلَكُ مَريمَ بعِيسَى مضَى واختفَى، وأحسَّتْ مَريمُ بآثارِ الحَملِ، وبَعدَ مُدّةٍ شعرَتْ بآلامِ الوَضعِ والمَخاضِ، فخرجَتْ مِنَ القَريةِ بَعيداً عَنِ النّاسِ، وعِندَ جِذعِ نَخلةٍ وَلَدَتِ ابنَها عِيسَى عليه السلام، وتذكَّرَتْ قَومَها وما سَيقولُونَه عَنها وخوضَهُم في سِيرتِها وشرَفِها، فأحسَّتْ بالألَمِ الشَّديدِ، وقالَتْ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾، فسَمعتْ مِن تَحتِها صَوتًا يُنادِيها: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾.

فهَزَّتِ السَّيّدةُ مَريمُ جِذعَ النَّخلةِ، فتَساقطَ علَيها الرُّطَبُ النّاضجُ الطَّيِّبُ، فأكلَتْ مِنهُ وشَربَتْ مِنَ الماءِ حتَّى استعادَتْ قُوَّتَها واستردَّتْ صِحَّتَها، وحمَلَتِ ابنَها عِيسَى بَينَ يدَيْها،

ورَجعَتْ بِه إلَى قَومِها، فلَمّا رأَوْها تَحمِلُه تَعجَّبُوا وظنُّوا بِها السُّوءَ، وقالُوا لَها: ﴿يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾! فلَمْ تَرُدَّ علَيهِم وإنَّما أشارَتْ إلَى طِفلِها الوَليدِ عِيسَى، فتَعجَّبَ النّاسُ وقالُوا: ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾؟! فأنطَقَ اللهُ سُبحانَه وتَعالَى الطِّفلَ الرَّضيعَ، فقالَ بِلِسانٍ فَصيحٍ: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ٣٠-٣٣].

ولَمّا سَمعَ اليَهودُ عِيسَى يَتكلَّمُ في المَهدِ أُصيبُوا بالذُّهولِ، وقالَ بَعضُ مَن كفرَ مِنهُم: إنَّ عِيسَى هوَ ابنُ اللهِ سُبحانَه وتَعالَى. وادَّعَى البَعضُ الآخَرُ أَنَّ هَذا سِحرٌ، واتَّهمُوا السَّيّدةَ مَريمَ بالفاحشةِ، وتربَّصَ البَعضُ بِمَريمَ وابنِها، حتَّى

اضْطُرَّتِ السَّيّدةُ مَريمُ إلَى أَنْ تَحمِلَ ابنَها عِيسَى وتَرحلَ بِه مِن فِلَسطينَ إلَى مِصرَ، وعاشَتْ معَ ابنِها هُناكَ حتَّى كَبِرَ، ثُمَّ عادَتْ بِه مرّةً ثانيةً إلَى فِلَسطينَ.

ولَمّا كَبِرَ عِيسَى عليه السلام اختارَه اللهُ سُبحانَه لِيكونَ نَبيًّا إلَى بَني إسرائيلَ، يَهديهِمْ إلَى طَريقِ الحقِّ والرَّشادِ، وأنزلَ علَيهِ الإنجيلَ فيهِ الهُدَى والمَوعظةُ لِبَني إسرائيلَ.

قِصّةُ المائدةِ

أَيَّد اللهُ سُبحانَه نبيَّه عِيسَى عليه السلام بالمُعجزاتِ الدّالّةِ علَى صِدقِ نُبوَّتِه، وعلَّمَه الكِتابَ والحِكمةَ والتَّوراةَ والإنجيلَ. وكانَ عِيسَى يَصنعُ مِنَ الطِّينِ علَى هَيئةِ الطَّيرِ ثُمَّ يَنفُخُ فيهِ فيَكونُ طَيرًا بإِذنِ اللهِ، وكانَ يُحيِي المَوتَى، ويَشفي الأعمَى والأبرصَ بإِذنِ اللهِ.

ورَغمَ كلِّ هَذِه المُعجزاتِ لَمْ يُؤمِنْ بِه سِوى عَددٍ قَليلٍ مِنَ النّاسِ، هُمُ الحَواريُّونَ، وكانُوا لَه أَنصارًا وأَعوانًا.

وذاتَ يَومٍ طلَبُوا مِنهُ أَنْ يَدعوَ اللهَ أَنْ يُنزلَ علَيهِم مائدةَ

طَعامٍ مِنَ السَّماءِ؛ لِيأكلُوا مِنها، وتَطمَئِنَّ قلوبُهُم، وتكونَ لَهُم عِيدًا، فوعظَهُم نبيُّ اللهِ عِيسَى وخافَ علَيهِم ألّا يَقومُوا بشُكرِها، فأَصرُّوا علَى طلَبِهِم، فتوجَّهَ عِيسَى إلَى ربِّه يسألُه سُبحانَه أَنْ يُنزلَ علَيهِم تلكَ المائدةَ: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]. فاستجابَ اللهُ دعاءَ نبيِّه عِيسَى عليه السلام، وأنزلَ اللهُ مائدةً عظيمةً مَليئةً بالطَّعامِ الشَّهيِّ فأَكلُوا مِنها، وكانَتْ مُعجزةً وآيةً مِن آياتِ اللهِ سُبحانَه.

قِصّةُ رَفعِ عِيسَى

عندَما رأَى النّاسُ أَنَّ اللهَ يُؤيِّدُ نبيَّه عِيسَى عليه السلام بِكثيرٍ مِنَ المُعجزاتِ، آمَنُوا بدَعوتِه، وكَثُرَ أَتباعُه، فغَضِبَ اليَهودُ مِن ذلكَ، وأكثرُوا مِن مُحاربتِه وإيذائِه، لكنَّ نَبيَّ اللهِ عِيسَى لَمْ يَتوقَّفْ عَن دَعوتِه إلَى اللهِ سُبحانَه، ولَمْ يَكُفَّ عَن إرشادِ النّاسِ.

وتجمَّعَ أعداءُ اللهِ، واتَّفقُوا علَى التَّخلُّصِ مِن نَبيِّ اللهِ،

وأَجمعُوا أمرَهُم علَى قتلِه، لكنَّ اللهَ سُبحانَه وتَعالَى كانَ لَهُم بالمِرصادِ، فحَفِظَه مِنهُم ورَفعَه إلَى السَّماءِ. ولَمّا اجتمَعُوا لِيَقتُلُوه، جعلَ اللهُ بقُدرتِه رَجلًا مِنَ اليَهودِ يُشبِهُ عِيسَى تَمامًا، فظَنَّ اليَهودُ أنَّه عِيسَى، فأَخذُوه وصلبُوه، وقالُوا: إنّا قتَلْنا المَسيحَ عِيسَى بنَ مَريمَ. وقَدْ ردَّ اللهُ زَعمَهُم وافتراءَهُم، فقالَ تَعالَى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

** ** **